تقوي_وهدايه

إن الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

موضوعنا اليوم هو

(تقوى وهداية بلا نهاية)

كل مسلم يحتاج إلى التقوى،فالتقوى عبودية من عبوديات القلوب ولو علم أهمية التقوى ما غفل عن مراقبة نفسه طرفه عين،كما أنه لن يدخر جهدًا أو وقتًا في سبيل تحصيلها،ولن يجد طريقًا يصل به إلى نَيلها إلا وسلكه؛الوصول إلى التقوى مسألة في غاية الأهمية لماذا ؟

لأن الإنسان التقي يكون في معية الله سبحانه وتعالى وحفظه وبها ينال المؤمن حب الله عز وجل،وبها يُنال كل جميل في الدنيا،كما أن جنات عدنٍ لا يدخلها في الآخرة إلا المتقين..

ذكر الله عز وجل التقوى في آيات كثيرة جدًا من كتابه العزيز،فهي أكثر صفة بشرية ذُكرت في القرآن ،فإما أن تأتي على وجه الأمر بها ،وإما أن تأتي حين يذكر صفات المتقين ،وإما ذكر الجزاء الذي يناله المتقين ،وهذا كله تم ذِكره حتى يعلم المسلم أهمية التقوى..

▫فما هي التقوى ؟

_التقوى لغةً : الواو والقاف والياء (و- ق- ى) كلمة واحدة، تدل على دفع شيء عن شيء بغيره ، فالوقاية ما يقي الشيء ، وهي ما يحمي به الإنسان نفسه ، ووقاه الله السوء وقاية أي حفظه، واتقِ الله: أي اجعل بينك وبينه كالوقاية

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ:

«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ،فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»

أخرجه البخاري (٦٥٦٣)،أخرجه مسلم (١٠١٦)

وكأنه أراد أن يقول اجعلوا بينكم وبين هذه النار وقاية بأي شيء ولو بشق تمرة..

_ قال الجوهري: التقوى والتُقى واحد، فلهما نفس المعنى.

_ويقول الراغب: التقوى: حفظ الشئ مما يؤذي ويضر

كحفظ الجسد من برودة الجو،أو من حرارة الشمس،أو من طعام يضره.

إذن المعنى مبني على أساس أمر معين لو قام به الإنسان فإنه سيدفع عن نفسه ما يؤذيه أو يضره...

_أما التقوى اصطلاحًا فهي:تعني كمال التُقى عما يضُر في الآخرة.

- وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى:{إن الله يأمر بالعدل والإحسان } [النحل :٩٠]تفسير البغوي

_وعندما سُئِل عمر بن عبد العزيز عن التقوى قال :هي ترك ما حرم الله، وأداء ما فرض الله.

_وذكر شهر بن حوشب:أن المتقى من يترك ما لا بأس به حذرًا من الوقوع فيما فيه بأس؛وهذا هو معنى:فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ..

عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ،أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ،أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً:إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ،وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ "

أخرجه البخاري (٥٢)،أخرجه مسلم(١٥٩٩)

_والمعنى هو:عدم اليقين على أن هذا الشيء حرام ولكن بالرغم من ذلك فإن الإنسان يتركه خشية الوقوع في الحرام .

_مثال:وُضِعَ طعام أمام شخص ولم يتحرَ هل ثمن هذا الطعام حلال أم حرام ولكن احتمالية أن يكون جاء بمالٍ حرام قائمة فترك الأكل منه حتى لا يقع في الحرام المُحتمل.

_وعن أبي يزيد قال: التقوى هي التورع عن كل ما فيه شبهة.

وقيل:التقوى ألا يراك حيث نهاك، وألا يفقدك حيث أمرك.

إن الله عز وجل يرى الخلق في كل وقتٍ وحين ويعلم سرهم وعلانيتهم ونجواهم ،وبالتالي فلا يصح أن ينهاهم عن أماكن أو أفعال أو أقوال معينة ثم يراهم متواجدين فيها أو يفعلونها أو يقولونها لأن هذا مُناقض للتقوى ، كما أنه لا يصح أن يفتقدهم حيث أمرهم..

_مثال: يأمر الله عز وجل عباده بالقيام إلى الصلاة خمس مرات فلا يجوز أن ينظر إليهم في وقت هذا الأمر ثم لا يجدهم قائمين به لأن هذا ليس من التقوى،ولكن التقوى تقتضي الإسراع إلى الصلاة عند النداء إليها،وكذا فإن أي أمر يأمر به الحق تبارك وتعالى ينبغي أن لا يفتقد المسلم فيه حيث أمره (باب خير _باب طاعة _باب بر_أي باب فيه أمر من الله يجب أن يُسرع إليه المسلم) حتى لا يفتقده الله تلك هي التقوى.

_وقيل أيضًا في معناها : التقوى هي:

أن تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق...

يُحاول الإنسان دائمًا أن يتزين فيظهر في أجمل صورة (أجمل الكلمات _ إظهار التقوى والورع والعلم والفهم للدين)كل هذا يحدث أمام الناس، وهذا لا بأس به إذا لم يُخالطه رياء ولكن أليس من الأفضل أن يُختزل جهدٍ كهذا ويُبذل في جهاد النفس حتى تتزين لرب العالمين؟

_ التزيُن للخلق هو القضية التي تشغل الكثير لأن النفس لا تُريد أن تظهر أمام الناس في صورة المُخطئة لماذا ؟

لأنها لا تقبل الاعتراف بالخطأ،أما فيما بينها وبين ربها فلا يهم على أي صورة سيراها الله..

ليتنا ندخر هذا الجهد والعناء بل والدفاع المُستميت عن النفس لنظهر أمام الناس في أحسن صورة فنبذُله في مرضات الله والسعي بكل قوة حتى لا يرانا في أي موقف أو موضع وسواء في السر أو في العلن إلا ونحن نسير على مُراده ،التزيُن للملك الحق الذي يستحق أن لا يرانا إلا ونحن في أجمل وأفضل ما أمرنا به،لابد أن يكون هذا هو الهدف الذي يسعى لتحقيقه المسلم التقي..

صفات المُنقين كما جاءت في الكتاب:

قال تعالى:

{ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)}[البقرة]

تصدرت صفات المتقين آيات الكتاب العزيز فبدأت بالأتي :_

١ _ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ :

فيكون هذا الإيمان مُجرَّد لا تعتريه أي شُبهة أو أي شيء يتسبب في إفساد الإيمان بالآخرة ، أما الإيمان بالغيب فإنه يتضمن كل ما جاء في الحديث عن الغيب من (الصراط_البعث_الحساب_النشور_ الجنة _النار) فيكون الإيمان بكل هذه الأشياء مجرد فلا شبهة ولا شك يمكن أن يُفسد على المسلم إيمانه..

٢ _ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

ثم تأتي الصفة الثانية مباشرةً بعد الإيمان بالغيب وهي إقامة الصلاة لماذا؟ لأن الشخص الذي لديه اليقين الجازم على الإيمان بالآخرة يصعُب عليه ترك الصلاة بل يستحيل عليه فعل ذلك ، وكل مسلم لا يُصلي فإنه يقينًا لديه خلل في مسألة إيمانه بالغيب..

٣ _ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ:

الصفة الثالثة هي الإنفاق ،جاءت الصلاة أولًا فهي حق الله ثم أتى أمر الإنفاق وهو حق العباد.

٤ _ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ:

أي أنهم: يؤمنون بالقرآن وبكل ما أنزل من قبله..

٥ _ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ:

ختامًا فإن لديهم اليقين الجازم على أمر الآخرة..

تلك بعض صفات المتقين التي جاء ذكرها في سورة البقرة..

أيضًا قال سبحانه:

{ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)}

[البقرة]

آية البر تتضمن خمس عشرة صفة للمتقين، وعلى الإنسان أن يسعى لتحقيق هذه الصفات من:

١ _ إيمان (بالغيب _ بالملائكة _ الكتب _ النبيين).

٢_إنفاق المال (الصدقات)ثم أورد أصناف لمُستحقي هذه الصدقات

فيكون الإنفاق هاهنا وهاهنا كما جاء عن النبي ﷺ.

_ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي نَخْلٍ لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَلَكَ الْمُكْثِرُونَ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: حَثَا بِكَفَّيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ -، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ "

مسند أحمد (٨٠٨٥)

المقصود هو: أن الكُل هالك إلا المكثرون (أصحاب الأموال)المُنفقين لأمواله في أوجه الإنفاق المُختلفة..

٣_ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

أي :فيما بينهم وبين الله عز وجل ،وفيما بينهم وبين الناس،إذا عاهدوا : يعني إذا وعدوا أنجزوا وإذا حلفوا ونذروا أوفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتمنوا أدَّوْا..

٤_ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ

_البأساء: الشدة والفقر.

_الضراء :المرض والزمانة.

_حين البأس: وقت الحرب.

درجة صبر الإنسان لا تظهر إلا وقت الشدة ونزول البلاء،فإذا كانت درجة صبره عالية فإنه وقت نزول البلاء لا يجزع ولا يعترض على أقدار الله سبحانه وتعالى لأن التقوى تمنعه من الاعتراض ولأن يقينه أن الله هو الحكيم فإن هذا يُغلِق عليه باب الجزع والهلع والاعتراض على قضاء الله وقدره حتى في أشد لحظات الابتلاء..

قال تعالى :

{ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) }

[آل عمران]

١ _ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ:

قد يسهُل على الإنسان الإنفاق في حال الرخاء حيث أن لديه المال فيتصدق ،وبالعكس فإن الإنسان يصعُب عليه الإنفاق إذا كان في حالة من الفقر وعدم وجود المال كما هو الحال الآن حيث الحالة الاقتصادية المُتردية،فإذا ما دعونا الناس للإنفاق نراهم يمتنعون لماذا ؟

لأن الكثير ممن يخافون أن ينفقوا يعتقدون أن إنفاقهم ولو جزء من أموالهم سيؤدي إلى افتقارهم، هذا هو يقينهم، كما أنه ليس من صفات المتقين لأن المُتقي يعلم بل ولديه يقين على أن الرَّزاق هو اللَّه عز وجل، كما أنه يعلم أنه ما أنفق شيئًا إلا وسيخلفه اللَّه سبحانه ويثق في موعود رسول اللَّه ﷺ..

حين قال: " ثَلاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا، وَلا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا " وقَالَ أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ: " إِلا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ "

مسند أحمد (١٦٧٤)،مسند البزار (١٠٣٣) ،مسند أبي يعلى (٨٤٩)

٢_ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ :

كظم الغيظ أمر ليس باليسير ولذلك فإنه يحتاج إلى تقوى لماذا؟

لأن الإنسان قد يُثير غضب الآخر مرة ومرات في نفس المسألة فيقع في نفس الخطأ مرات وبالتالي فإن هذا الآخر يحتاج إلى تقوى عالية جدًا كي لا يُنفذ فيه غضبه وحتى إذا ما أوقفه أو عاتبه لا يتخلل هذا الإيقاف أو العِتاب تعدي للحقوق أو ظُلم..

ما هو سبب الغيبة أو النميمة أو الظلم ؟

سبب الوقوع في كل هذه الآفات هو الافتقار إلى خُلق أو صفة كظم الغيظ عند الناس...

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»

أخرجه البخاري (٦١١٤)،أخرجه مسلم (٢٦٠٩)

ليس من القوة أن:

نُستفز فنُسرِع إلى أخذ الحق وإنما القوة في كتمان الغضب مع شدة الاستفزاز والضغط على الأعصاب وهذا يأتي بالاستعانة بالله عز وجل

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: "مَا مِنْ جَرْعَةٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ أَجْرًا مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ"

الأدب المفرد (١٣١٨)،سنن ابن ماجة (٤١٨٩)

[قال الشيخ الألباني] :

_موقوف رجاله ثقات وقد صح مرفوعافماذا تعني جرعة غيظ كظمها

ابتغاء وجه الله:أي أن شخص قام بأذى شخص آخر وهذا الأخر يستطيع أن يرد ويُنفذ غيظه فيه دون أن يلومه أحد على ذلك ، ولكنه مع ذلك كظم غيظه ولم يفعل ابتغاء مرضات الله عز وجل ،فالله يحب هذه الصفة وهذا الآخر يريد أن يكون ممن يُحبهم الله ومع عباده المُتقين..

كظم الغيظ ليس بالأمر السهل فهو يحتاج إلى تمرين لماذا ؟

لأن مَنْ لم يعتاد على كظم يغيظه سيقع في الذنوب ولابد

مثال : الشخص الذي لا يعتاد كظم غيظه إذا أخطأ في حقه آخر فإنه سيُسرع إلى الكلام عنه فيقع في الغيبة،أو سبه فيقع في فُحش القول وسوء الخلق ، أو يرد عليه بما هو أسوء،وهكذا مَنْ لا يكظم غيظه يقع في الذنوب التي تُهلِك الحسنات..

إذن فإن كظم الغيظ يجمع بين شيئين :

١_الخير الذي للعبد عند الله إذا ما تحلى بهذا الخُلُق

٢_حِفظ حسنات المسلم من الهلاك

يقول ابو العالية: والعافين عن الناس يريد المماليك

قال القاضي أبو محمد: هذا حسن من جهة المثال إذ هم الخدم فهم مُذنبون كثيرًا والقدرة عليهم مُتيسرة ، وإنفاذ العقوبة سهل..

هنا هو يضرب مثل ليس بكظم الغيظ فقط ولكن تعدى الأمر إلى العفو عن الناس وذكر المماليك كمثال لماذا ؟

لأن الناس القائمين على الخدمة يتسمون بالضعف ،أقصد في جانب القدرة عليهم فيكون من السهل استنفاذ جرعة الغيظ تِجاههم فلن يستطيع

أحد أن يوجه اللوم للمخدوم على أفعاله مع هؤلاء(خادم _موظف في شركة _أي صورة يكون فيها طرفين يعلو أحدهم عن الأخر ويحق له التحكم فيه) ولكن درجة التقوى لَمَنْ أراد أن يختبر نفسه تظهر في موقف كهذا أي مع مَنْ يكون للشخص قدرة عليهم

الخادمة تنظف البيت وفي أثناء ذلك وقع منها شيء فتكسر وهو غالي الثمن فما يكون من مخدومتها إلا أمر من اثنين إما أن توبخ وتسُب ويكون الويل والثبور وعظائم الأمور ،وإما أن تكون صاحبة تقوى فتعلم أن هذا هو قدر الله فتعفو وتصفح ، وليس معنى هذا هو عدم العقاب ولكن المقصود هو طريقة رد الفعل فإن كان هذا الأمر نتيجة الإهمال فيمكن أن تُعاقب بقدر ما وقع منها من إهمال كالخصم من راتبها أو التوبيخ الغير مُبالغ فيه، وإن كانت مُهتمة ولكن رغم حرصها حدث ما حدث فإن الأمر ينتهي لأنها لم تُخطئ...

_ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ...

المقصود أن: مَنْ يكظُم الغيظ في أول الأمر ويُراقب الله عز وجل فلا يقع منه ما يُغضِبه إلى جانب أنه يعفو ويُحسِن فإن حُب الله يكون هو الجزاء الذي ينتظر المحسنين.

لماذا نقول أن كظم الغيظ يُعَد صورة من صور الإحسان ؟

أولًا: الإحسان يعني أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك و الشخص الذي يكظم غيظه لا يُراقبه في ذلك إلا الله فلا يوجد إلا هو ومَنْ أثار غضبه ولكنه فعل ما فعل لأنه لا يبتغي إلا وجه الله إذن فهو من المُحسنين.

يقول الإمام مالك: بلغني أن رجلًا من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزبير رضي الله عنهما يقول: ألا إن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها، ويعرفونها من أنفسهم: من رضي بالقضاء، وصبر على البلاء، وشكر على النعماء، وصدق في اللسان، ووفى الوعد والعهد، وتلى لأحكام القرءان.

فإذا أراد الإنسان أن يعلم إن كان من المتقين أم لا فلينظر إلى نفسه عند القضاء والبلاء هل هو صابرًا ؟

وعند نزول النعمة هل هو من الشاكرين ؟

ومدى صدق اللسان إذا ما انطلق بالكلام وتلك مسألة خطيرة جدًا ،نحن نرى الآن أن أسهل شيء أن ينطلق اللسان بالأيمان المُغلَّظَة على صدق الكلام وهو يعلم أنه كاذب وتلك مأساة قد تقع من بعض المُنتسبين للعلم لماذا ؟

لأن الأمانة قد رُفعت وكذا التقوى وهذه الصورة هي ما دعت البعض إلى النفور من الدين إذا ما احتكوا بمَنْ يلبسون ثياب الدين، فقد يلتزم المسلم بالمظهر الخارجي(فيكون دعوة للدين في الظاهر) ولكن عندما يتعامل معه الغير يجد أن الحقيقة بعيدة كل البُعد عن الدين (الكذب _لا تقوى لله في الأقوال ولا في الأفعال)الظاهر يقول أنه مسلم أما لحظة التعامل مع الناس فإن هذه اللحظة تؤدي إلى الصد عن سبيل الله لأن الناس يرون أن هذا الشخص يُمثِل الدين ،وإذا ما صدهم عن الدين فهم في ميزانه يوم القيامة..

ألم ينتبه هذا الشخص إلى أنه بالإضافة لافتقاره إلى مراقبة الله عز وجل فيما يفعل فإنه يُعد صورة سيئة للدين حيث أنه يصُد غيره عن الدين نظرًا لما يقع فيه من معاصي لا ينبغي أن تصدر من مسلم فضلًا عن أن يكون طالب علم..

جاءت التقوى في القرآن على معان :

منها...

١_تنزيه القلب عن المعاصي وترك الذنوب:

قال تعالى:{ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(١٠١)* وَ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(١٠٢)*وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(١٠٣)} [البقرة]

◘فما هي علاقة الآيات بتنزيه القلب وترك الذنوب؟

تنزيه القلب ابتداءً عن الشرك ،إذن جاءت التقوى في القرآن لتُبيِّن للمسلم وتحثه على تنزيه قلبه عن كل انواع الشرك ومُقدماته(الشرك الأكبر_ الشرك الأصغر) وإن كان المقصود في الآيات هو الشرك الأكبر فلماذا؟

أرسل الله عز وجل النبي ﷺ بالهدى ودين الحق وأرسل معه الكتاب فقام النبيﷺ بدعوة الناس إلى الدخول في دين الله وأخبرهم أنه نبيٌ من عند الله ولكن المشركون رفضوا أن يتبعوه بالرغم من علمهم أنه رسول الله:

{ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)}[البقرة]

إذن فقد كان مع هؤلاء كتاب يُخبرهم بمجئ نبي جديد اسمه أحمد ولكن نبذ فريق من المشركين كلام النبي ﷺ واستمروا على الشرك،هؤلاء جاءهم الحق ولكنهم رفضوه وظلوا على الشرك والكفر:

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ}

فما هو وجه الربط بين رسالة النبي ﷺ وذكر الحق تبارك وتعالى لقصة سليمان عليه السلام ؟

لأن السحر انتشر في زمن سليمان عليه السلام ومن قبله أيضًا حيث أنه كان عهد موسى عليه السلام كذلك ولكن لماذا ذُكرت القصة هنا ؟أراد أن يُبين أن المشركين أحبوا السحر والشعوذة والباطل والضلال وردوا الهدى الذي جاء به سليمان عليه السلام فأضلهم الله وأعمى أبصارهم.

ثم قال سُبحانه: { وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} وهذا يعني: أنهم لو كانوا امنوا بالنبي ﷺ واتقوا هذا الشرك و دفعوه عن أنفسهم بالدخول في الإيمان لكان فضل الله وثوابه ونعمته هم الجزاء العائد على المُتقي.

◘ترك الذنوب:

قال تعالى:

{ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ

بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) }[البقرة]

أما في هذا الموضع فقد بيَّن الرب سبحانه،أن الرجل يمكُث مع زوجته في البيت وقد يكونا زوجين جديدين وهما في نهار رمضان ولكن أمر الله عز وجل أن لا يُباشِر الرجل زوجته في نهار رمضان ولا حتى مقدمات الجماع ، هنا تظهر التقوى حيث أن الرجل وزوجته في بيت واحد وهي حلالٌ له و شهوته عالية وكل الأمور تدفعه إلى إشباع شهوته مع زوجته ولكن أمر الله يمنعه من هذا الإشباع في نهار رمضان،وهذا يؤدي إلى تعلُم قوة الإرادة والعزيمة ومراقبة الله بحيث أنه إذا جاءت الشهوة المحرمة فإن المسلم يستطيع دفعها فقد سيطر على شهوته في الحلال قبل ذلك وبالتالي فإن الأمر يسهل فيما يخص الحرام من باب أولى..

ولهذا فإن شهر رمضان هو شهر التقوى حيث رياضة القلب والنفس على محاولة التقرُب للّه سبحانه وتعالى وترك المعاصي والخضوع والإذعان لأوامره..

نهى الشرع عن الجماع في نهار رمضان ثم شدد على العقوبة إذا ما وقع المسلم في هذا الذنب لأنه انتهك حُرمة الشهر وارتكب كبيرة من الكبائر فكانت العقوبة (شهرين مُتتابعين من الصيام)لليوم الواحد الذي أفسد صيامه فيه وصيام زوجته مع اختلاف العلماء ..هل الزوجة عليها كفارة هي الأخرى أم لا ؟

الشاهد:التقوى جاءت هنا لتحُث على اتقاء الحُرمات واتقاء غضب الله وعذابه بماذا؟بالصيام حيث تطهير القلب من الذنوب والمعاصي قال تعالى:

{ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}

أي:يعرفون كيف يهتدون ويطيعون الله سبحانه وتعالى، ويكون هذا الصيام سببًا فى تحصيل التقوى وملأ القلوب بها...

_ قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[الأنعام: ١٥٣]

أكثر أهل العلم (جماهير العلماء)على أنها هذه الآيات فى أهل البدع ...

(فالمعصية هنا البدع)إذا كان الإنسان على تقوى فإن تقواه تجعله يترك البدع، وكل إنسان تلبس ببدعة لو كان على تقوى لقادته تقواه إلى التخلي عن بدعته وعدم التمسك بها،إنسان مُبتدع ولكنه يُحب الله فيتقيه ويخشاه وإذا ما ذُكِرَ له أن طريقته في ذِكر الله مبتدعة ولا تجوز فإنه يُسارع إلى السؤال عن الطريقة الصحيحة للذِكر خوفًا من الله،ولأن تقواه تمنعه من ارتكاب الذنوب، بعكس الشخص الذى يقدم على الذنوب، ويقع في المعاصي وهو لا يبالى، فهو شخص ليست لديه تقوى أو تقواه ضعيفة جدًا لا تستطيع أن تحمله على ترك الذنوب والمعاصي ، ولو أنه حقق التقوى لما استطاع أن يستمر على معاصيه(بدعته).

◘ الخوف والخشية:

يقول المولى عز وجل:{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } [البقرة:٤٨]

_المعنى هو: اتقاء هذا اليوم حيث لن ينفع أحدٌ أحدًا

قال تعالى:{ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)}[عبس]

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى يُحذِر العباد من ذلك اليوم الذي يقول الجميع فيه (نفسي_نفسي)..

يقول سُبحانه:{ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)} [البقرة]

وهذا أيضًا يعني الخوف والخشية فهو شيءٌ من الإنذار والإعذار

اتقوا الله بخوفكم منه لأنكم سترجعون إليه وستقفون بين يديه وما من عبد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه تُرجمان كما جاء في الحديث

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ "

أخرجه البخاري (٧٥١٢)،أخرجه مسلم (١٠١٦)

سيقف العبد بين يدي ربه وحده وسيُسأل ويُحاسب وحده ولن يُدافع عنه غيره بل ولن يمنعه من العذاب إذا أراد الله به ذلك؛يقول سبحانه أيضًا:

{ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) }

[آل عمران]

أعدت النار للكافرين وعلى المسلم أن يحذر من أن يُدخِل نفسه فيها لأنها في الأساس لم تُعد له؛قال جلَّ ذِكْره :{ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩)}[النساء]

◘إذا نزل البلاء شمل الصالح والفاسد:

قال تبارك وتعالى:{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)} [الأنفال]

فلننتبه:لأن الفتنة والابتلاء عندما ينزل فإنه لا يخُص شخص بعينه،يعنى: مجموعة من الناس صوَّامين قوَّامين يتقون الله في أقوالهم وأفعالهم ولكن بينهم أناس عاصين سواء ابن أو أخ وهؤلاء الصالحين حاولوا أن يُصلحوا من حالهم ولكن لا فائدة فينزل عليهم البلاء فيتعجبون لنزوله عليهم رغم أنهم قائمين على أمر الله ، بالفعل هم لم يفعلوا ذنب ولكن نزول الفتنة على

العاصين طالت الجميع،ليس هذا ظلمًا حاشا لله أن يظلم ولكن كما جاء عن النبي ﷺ حيث قال عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ،رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ:أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»

أخرجه البخاري (٣٥٩٨،٧٠٥٩،٣٣٤٦)،أخرجه مسلم (٢٨٨٠)

عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ [ص:٦٦] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ،يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ:قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ،وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ،وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟قَالَ:«يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»

أخرجه البخاري(٢١١٨)

وهذا واقع يحدث ونعيش فيه فنحن نرى الأزمة الاقتصاديةوالحالة المُتردية التي تُعاني منها البلاد الآن والكل واقع في هذا البلاء رغم أن فينا الصالحين {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}هؤلاء سيُعطون الأجر ولكن الفتنة تُصيب الجميع والله لا يحب الفساد.

التقوى تمنع العباد من ظلم بعضهم لبعض..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»

أخرجه مسلم (٢٥٦٤)

لا يخذله: المسلم أخو المسلم فلا يصح أن يستأمن مسلم أخاه على سِر أو على أمانة معينة ويثق به ثم يأتي في لحظة غضب أو انفعال فيفشي سره وتلك أسهل وأقل معصية تُرتكب الآن،بل أن الحقيقة التي نُحاول أن نتجاهلها ونغض الطرف عنها أن الأسرار تُفشى الآن ولو لم تكن هناك خصومة ، هذا خُذلان وفضح للسِر.

ولا يحقره: لا يجوز أن يُحقر المسلم أخاه المسلم لأي سببٍ كان (قلة مال_ قلة جمال_علم)لا يجوز ذلك لأنه ليس من سِمات المتقين؛فالتقي يعلم قول الله تعالى:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)} [الحجرات]

_ثم يقول النبي ﷺ " التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"

لأن التقوى كما قلنا هي : عمل من أعمال القلوب

قال تعالى:

{ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦) }[مريم]

كلما اهتدى المسلم وامتثل لأوامر الله فإنه سيزيده هداية،قد سبق أن قلنا في بداية اللقاء أن الحلقة تحمل اسم تقوى وهداية بلا نهاية لماذا؟

لأن النهاية هي هداية النبي ﷺ ولا أحد يصل إلى هذا ولهذا فإن المسلم يظل يجتهد في التقوى فيصل إلى هداية تتبعها هداية فتكون هداية بعد هداية إلى مالا نهاية،المراحل كثيرة جدًا.

◘التقوى بمعنى العبادة:

قال تعالى:

{ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)}[البقرة]

يقول جلَّ في عُلاه :

{ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢)}

[النحل]

فهل يمكن أن يكون اتقاء الناس والخوف منهم في قلب الإنسان أكثر من اتقاء الله ؟

فتأتي التقوى بمعنى العبادة (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ)هل يمكن أن يعبد الإنسان غير الله (النفس_الهوى_رضا الناس _ صنم _أي شيء)؟

لا ، لا يجوز ذلك

يقول أحد العلماء(أبي السعود محمد بن محمد العمادي)

التقوى ثلاث مراتب :_

١ _التوقي من العذاب المُخَلِّدْ بالتبرؤ عن الكفر:

وعليه قوله تعالى:{ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ} [الفتح}

أول مرتبة من مراتب التقوى هي التوقي من عذاب الله الذي يمكن أن يُخلِّد صاحبه في النار (التبرؤ من الكفر وأهله)،فإذا ما قيل: أنا مسلم وليس لي شأن بالكفر.

قلنا:علينا أن ننتبه لأن الإنسان قد يقع في مسألة تُخرجه من الملة وهو لا يشعُر(دعاء غير الله _الذبح لغير الله _الاستغاثة بغير الله _ النذر لغير الله _الطواف حول القبور_سؤال المقبور_اعتقاد أن هناك من ينفع أو يضُر في الكون غير الله)كل هذه أمور تُخرج المسلم من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر

إذن أول مرتبة هي:حفظ النفس من الكفر بتركه ومقدماته وكل ما يؤدي إليه لأن الكافر مُخلد في النار.

٢_التجنُب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المُتعارف بالتقوى في الشرع:

نرى الناس اليوم عند الحديث معهم وتوجيههم إلى أن هذا الشيء حرام فيكون الرد:هل هو حرام أم مكروه؟

فإذا ما قيل: أنه مكروه،قيل:هل هو صغيرة أم كبيرة ؟؛فإذا قيل: صغيرة ،قيل:إن الله غفور رحيم ،أي أن الذنوب العادية أو الصغائر لا إشكال فيها إذا ما ارتُكِبَتْ،هذا النموذج لا يفهم ولا يُدرك أي شيء عن التقوى..

وإذا قيل لهم: أن الذنب من الكبائر فمن الجائز أن يحدُث له تراجُع لبعض الوقت ولكنه سُرعان ما يعود إلى ارتكابه مرة أُخرى.

(تلك أحوال البعض لابد أن نعترف بذلك لأن هذا هو الواقع) أما أحوال المتقين فهي تجنُب الكبائر والصغائرلقول الله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) }[المائدة]

وقوله تعالى:

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٩٦)}[الاعراف]

٣_ أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل وأن يتبتل إليه بكليته:

وهي التقوى الحقيقية المأمور بها والمقصودة في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)}[ال عمران]

فيتنزه الإنسان عن كل ما يشغل سره عن الحق،فهو من داخله لا يريد أن ينشغل بشيء إلا الله سبحانه وتعالى ولهذا فإنه يُنزه فكره وداخله وسِره عن كل ما لا ينفعه عند الله وأي شيء يشغلُه عن الله بحيث أن هذا الانشغال يؤدي إلى وقوع في معصية أو ترك واجب أو ترك مُستحب..

توضيح:يمكن للإنسان أن يُفكر في أي شيء يُريده ولكن ما لا يجوز له أن يكون في مُقابل هذا الفكر التفكير في معصية أو التخطيط لها،كما لا يصح أن يطول انشغاله وتفكيره فيشغله هذا عن ما يعود عليه بالنفع (أداء الواجبات) صيام_صلاة_قراءة قرآن_صلة أرحام_طاعة زوج_أي واجب وأي مستحب .

استكمالًا لقول العالم: ولهذه المرتبة عرض عريض؛ يتفاوت فيه طبقات أصحابها؛حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الإلهية؛المبنية على الحكم الأبية؛أقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية؛ وما عاقهم التعلق بعالم الأشباح عن العروج إلى معالم الأرواح؛ ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق؛ لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية.

_عالم الأشباح الذي نحن فيه بما يحويه من ضلال وكذب ومعاصي ظاهرة وباطنه وأحقاد وحسد وغِل،كل أنواع المعاصي تُحيط بالعباد وكأنهم في عالم من الأشباح،قال:أن هذا العالم لا يُعيقه عن عالم الأرواح فيكون العقل والقلب مع الله سبحانه وتعالى وإن كان العبد يعيش على أرض مُلِئت بالفساد والفسق والمعاصي إلا أن قلبه وروحه وعقله مع الله ،وهذه درجة من التقوى عالية جدًا.

* يقول طلق بن حبيب:التقوى هي العمل بطاعة الله،على نور من الله،رجاء رحمة الله، والتقوى أيضًا ترك معاصي الله،على نور من الله،مخافة عذاب الله.

أولًا : طاعة الله على نور من الله: تأتي طاعة الله بنور البصيرة (العلم الفهم) حتى يستطيع المسلم أن يُميِّز بين الحق والباطل فيسير إلى الله على نور وهو يرجو رحمة الله عز وجل.

_ثانيًا : ترك معاصي الله على نور من الله: أيضًا ترك المعاصي لا يكون إلا بنور البصيرة (العلم) إذ كيف للإنسان أن يعلم هل هذا الأمر حرام أم أنه حلال؟ لابد من العلم...وكم من أُناسٍ اليوم يرتكبون المعاصي وإذا قيل لهم اتقوا الله قالوا:وهل هذا الأمر حرام.

◘يقول ابن القيم في تفسير:

قوله تعالى :{ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)} [البقرة]

هذا يتضمن أمرين (درجتين لهداية الناس)

أحدهما: أنه يهدي به من اتقى مساخطه قبل نزول الكتاب ،فإن الناس على اختلاف مللهم ونحلهم قد استقر عندهم أن الله سبحانه يكره الظلم والفواحش والفساد في الأرض ويمقت فاعل ذلك ،فلما نزل الكتاب

أثاب سبحانه أهل البر بأن وفقهم للإيمان به جزاءً لهم على برهم وطاعتهم ،وخذل أهل الفجور والفُحش والظلم بأن حال بينهم وبين الاهتداء به.

والثاني:أن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملًا وقَبِلَ أوامره،وصدَّق بأخباره كان ذلك سببًا لهداية أُخرى تحصل له على التفصيل ،فإن الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد فيها ما بلغ،ففوق هدايته هداية أخرى ،وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية .

فالأول يعني:الهدى الأول قُصِدَ به أُناس كانوا على الهُدى قبل مجيء النبي ﷺ بالشريعة حيث أن التوحيد كان عندهم فطرة (ونحن نعلم أن التوحيد كان موجودًا منذ عهد آدم عليه السلام) ولكنه طُمس وتغير وفسدت الفِطَرْ وبالرغم من ذلك ظل هناك أناس على الفطرة لم يسجدوا لصنم أو حجر بل أنهم بقوا على التوحيد ،علم الله عز وجل أن قلوب هؤلاء يملأها الخير و عند مجيء النبي ﷺ اتبعوه وأذعنوا إلى أوامر الشرع فحفظهم الله من الكفر والشرك وشرح قلوبهم لطاعته.

أما الدرجة الثانية المقصود بها: آمن المسلم بكتاب الله على وجه الإجمال وبما جاء به النبي ﷺ _صلاة _صيام_حب لله عز وجل _وغير ذلك،الإيمان بهذه الأشياء إجمالًا يجعل المسلم على درجة من الهدى،هذه تليها درجات عالية جدًا،وكلما ارتقى العبد في مدارج الكمال والطاعة كلما اهتدى إلى غيرها..

مثال:ولننظر إلى حال شخص بدأ في الإقبال على ربه والسير في الطريق إليه فلو لم يكن يُصلي مثلًا فإنه يبدأ في الحفاظ على الصلاة (تلك هداية) وبعد ذلك تأتي هداية أخرى فيذهب لحضور درس علم فيسمع عن مدى خطورة الغيبة والنميمة فيعزم على عدم الخوض في هذا الأمر مرة أخرى ثم يفتح الله عليه باب هداية أخري وهي محبة العلم لأن بالعلم يأتي نور البصيرة وبعد هداية العلم تأتي هداية أخرى ألا وهي السعي للعمل بهذا العلم وبعد العمل لا يقتنع بعمله فيسعى إلى القيام به على أفضل وجه وهكذا دائمًا فهداية تعقُبها هداية..

{ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦) }

[مريم]

ثمرات التقوى:

١ _ بالتقوى تُقبل أعمال المسلم:

فكل عمل يقوم به العبد إذا كانت تكسوه التقوى فإن الله عز وجل يقبله

(صلاة_صيام_كلمة طيبة_طريقة تعامل_أمر بالمعروف _نهي عن

المنكر_أي عمل)

ولهذا فإن قبول الأعمال ليس بالأمر اليسير ولنا فيما حدث بين ابني آدم على هذا القول دليل؛قال تعالى:{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) } [المائدة]

فكلٍ منهما قدم قربانًا ولكن الله تقبل من أحدهما،فالقضية هي القبول؟

مَنْ سيقبل الله منه؟

فلما تقبل الله من أحدهما ولم يتقبل من الآخر امتلأ قلبه بالحِقد والحسد والغيرة على أخيه،وهذه هي بداية الضلال وفساد التصور،[إذا أكرم الله أحدًا بطاعة فإن الآخر يحسده عليها].

فمَنْ الذي أكرمه بالهداية لتلك الطاعة أليس الله فلما الحسد ؟

هذا ضلال

الحاصل:الحسد أدى به إلى تهديد أخيه بالقتل ثم قام بما هدد به قال تعالى :

{ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}

إذن أي عمل يقوم به الإنسان وهو يتقي الله فيه فإنه يُقبل عند الله عز وجل، نخرج من ذلك بوجوب الحرص الشديد عند القيام بأي عمل فتكون تقوى الله هي الأساس فيه لماذا ؟

حتى لا يكون تعب في الدنيا وهباءً منثورًا في الآخرة ، لابد من مراجعة النفس عند القيام بالعمل فيسبقه تقوى الله(هل العمل لله _وهل يُبتغى به مرضات الله_هل سيُقرِب من الله) وأي عمل لا يُتقى فيه الله لا يُقبل.

٢_حفظ الذرية من كل سوء:

قال تعالى:{ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٩)}[النساء]

_الأم التي لديها أولاد صغار ومات زوجها فملأ قلبها الحزن لأنها لا تجد سبيل للإنفاق على صغارها وتخاف أن تموت هي الأخرى ولا يجد الأولاد مَنْ يعتني بهم أو يُنفق عليهم ،فإن الله سبحانه وتعالى يُبشر هذه الأم ويُبشر كل تقي بأن لا يخاف على ذُريته ولكن عليه أن يتقي الله فقط وبهذه التقوى يحفظ الله له ذريته ويصونها ويُكرمها ،إذن بالتقوى يُصْلِح الله للعبد ذُريته،وعليه فإنه ينبغي لَمَنْ يجمع الأموال لأولاده من الحرام و الحلال خوفًا عليهم لابد أن يُدرك أن الحرام يدخل على الحلال فلا يبقى هذا ولا ذاك بل وقد يكون سببًا في فساد هذه الذُرية،فقط عليه أن يتقي الله في ماله هل هو حلال أم حرام؟هل به شُبهة؟

اتقوا الله في أقوالكم أفعالكم يحفظ الله لكم الذرية وهذا هو موعوده سبحانه لعباده المتقين .

٣_الانتفاع بالموعظة:

وهذا أمر قد لا يلتفت إليه الكثير من المسلمين :أن الانتفاع بالموعظة هو من ثمرات التقوى ، ولذلك فإن المنتفعين بالموعظة قِلة قليلة جدًا ولننظُر إلى كم الجُهد المبذول من الشيوخ والدعاة (رجال_نساء) لنفع المسلمين ،

ولكن النفع قليل لانعدام التقوى..

_إذًا التقوى عامل رئيس وأساس في انتفاع المسلم بالموعظة والدليل على ذلك هو قول الله تعالى:

{ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) }[آل عمران]

فالقرءان بيان وهدى للناس،ولكن الموعظة للمتقين،فلا ينتفع بها إلا هم، أما غيرهم فلا ينتفع،كحال كثير من المسلمين،فمثلًا القنوات الدينية تملأ التلفاز،ولكن قلّ من ينتفع بها،والبعض ممَنْ ينتفع يكون نفعه ضعيف.

قضية لا جدال فيها

كل مسلم لابد أن يحمل قلبه الخير...

وسواء كان هذا الخير قليل أم كثير إلا أن القلب يحمل جزء منه طالما أن صاحبه يقول لا إله إلا الله،وطالب العلم لا يقول لا إله إلا الله فقط بل يطلب العلم ابتغاء مرضات الله عز وجل إذن هو يحمل في قلبه الكثير من الخير وبالتالي فإن الشيطان يجتهد معه ويُحاول إسقاطه والنيل منه بشكل أو بأخر أكثر من الآخرين ،فليحذر طالب العلم من مداخل الشيطان،وعليه أن يجعل لنفسه ضابطا يُرافقه في كل درس يسمعه،هذا الضابط هو:عند

العودة إلى بيته هل هو يعمل بما سمع أم لا ؟ **فإن كان لا يعمل بما سمع فليعلم أن لديه خلل في تقواه**..

٤_التقوى تُدخل العبد في باب الشُكر:

قال تعالى:{ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) } [سبأ]

هذا باب يُحبه الله سبحانه ،فالشاكرين لله ونعمه نسبة قليلة جدًا ،فمَنْ كان يريد أن يدخل ضمن هؤلاء ويُصبح واحد منهم فسبيله إلى ذلك هو التقوى،إذن التقوى تُؤهِل المسلم لأن يصل إلى منزلة الشكر.

نص القرآن يقول أن أصحاب هذه المنزلة قليلون وبالرغم من ذلك فإن لهم عند الله منزلة ودرجة عظيمة،على المسلم أن يسعى لتحقيقها.

٥_ الولاية والجزاء العظيم:

قال تعالى :{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٦٣)}[يونس]

المؤمن التقي ينال منزلة الولاية فيكون من أولياء الله الصالحين بإيمانه و تقواه

والولي هو:المؤمن التقي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ اللهَ قَالَ:مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "

أخرجه البخارى(٦٥٠٢)

فمن كان وليًا لله تولى الله أمره ونصره وأيده،وأذن بحرب من عاداه،و كفى بهذه منزلة لَمَنْ كان يعقل،تلك منزلة تستحق بذل الجهد والوقت و دفع كل سبب يحول بين العبد وبين الوصول للتقوى..

قال تعالى: {وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ(١٧٩)}[ال عمران]

٦-رد كيد الشيطان:

يريد الشيطان أن يوقع العبد في المعاصي بأي صورة،فكيف السبيل إلى النجاة؟قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ(٢٠١) } [الأعراف]

إِذَا مَسَّهُمْ : مسهم من بعيد، ولم يتمكن ويتعمق، فالشيطان يريد إيقاعهم فيما يغضب الله،ولكن هؤلاء المتقون سرعان ما يتذكروا أن هذا لا يرضي الله تعالى،وأنه من كيد الشيطان،ولذلك فإنهم يرجعون إلى الله مسرعين، و يستغفرن ربهم،فالمتقين يحبهم الله، وبحبه لهم يجعل لهم بصيرة.

فإذا مسهم طائف: أي من بعيد وعلى وجه السرعة؛ إذ ليس للشيطان استحواذ على أهل التقوى،فبالتقوى يدفع كيد الشيطان،وما أكثر ما يوقع الشيطان العباد في المعاصي،ولو اتقى المسلم ربه لأعطاه الله نور البصيرة فيستطيع تمييز الحق من الباطل،ويثبت على الحق.

٧-معية الله:

قال تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(١٩٤)}[البقرة]

وقال عزَّ وجل :{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ(١٢٨)}

[النحل]

معية الله هي: التأييد، والنصر، والإحاطة....

المعية أنواع ودرجات،ولكن المقصود فى هذه الآية هي المعية الخاصة،الله سبحانه مع العباد جميعًا (المعية العامة) يراهم ويسمعهم من فوق سبع سماوات،مستوٍ على العرش،ولكنه معهم بعلمه،وقدرته،وإحاطته.

أما المعية الخاصة فهي معية الرعاية،والعناية،والحفظ،والنصر، والتأييد، فطالما اتصف العبد بالتقوى فسيحفظه الله، وسينصره فى الدنيا والآخرة.

ملحوظة :كلمة اعلم أو اعلموا عندما تأتي في بداية النص القرآني يكون الأمر الذي سيليها هام جدًا.

٨-حب الله تعالى:

من ثمرات التقوى حب الله تعالى،فالله تعالى يحب المتقين،ولو لم يكن للتقوى ثمرات سوى حب الله لكفى،ولو أيقن الإنسان هذا الأمر،لبذل عمره كله،وماله،وأولاده،وكل ما يملك كي يصل لهذه المكانة"حب الله"، فليس الشأن أن تُحِبْ ولكن الشأن أن تُحَبْ،فحب الله فطرة ولكن من منَّا يحبه الله- أسال الله أن يجعلنا من أحبابه-.

قال تعالى :{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ(٤)}[التوبة]

فكلما حاول العبد تطبيق التقوى وزيادتها فى قلبه وحاول البعد عن كل محظور ومكروه لله حقق منزلة من منازل التقوى، وعلى بها، فيصبح من أولياء الله،ومن أحبابه،وفى معية الله،وينال سعادة فى الدنيا والآخرة، وينصره الله ويؤيده،ويحفظ ذريته،ويدفع عنه كيد الشيطان،وينزل عليه السكينة،والطمأنينة،وراحة القلب، وبالتقوى ييسر له كل عسير؛قال تعالى: { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا(٤)}[الطلاق].

ويجعل له مخرجًا ويرزقه الرزق الحلال...قال تعالى :

{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا(٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ(٣)} [الطلاق]

وبالتقوى تكفر السيئات،ويعظم الأجر؛قال تعالى:

{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا(٥)}[الطلاق]

فكل هذه جوائز التقوى وعلى رأسها حب الله للعبد التقي.

يقول داود الطائي: ما أخرج الله عبدًا من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس.

مثال: شيخ (عالم) فقير ليس له مال،ومع ذلك يتهافت عليه الناس وهو غني عزيز النفس، أعزه بلا عشيرة،لا أهل له،ولا ولد،ولكن رُزِق محبة الخلق له،يتمنى الكل خدمته،فعلينا أن ننظر إلى هؤلاء الذين ضيعوا أموالهم وأوقاتهم ليستأنسوا ببعضهم البعض،ولو كانوا من المتقين ما احتاجوا إلى كل هذا،فتقوى الله وحبه والأُنس به تملأ القلب.

جعلنا الله وإياكم من المتقين ...